

الكتابة الخطية العربية

للاستاذ حسن عبد الجواد

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم «اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم .»

ويقول إمام أهل الأدب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ « ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ... (١) »

ويقول القلقشندي (يروي أن سليمان عليه السلام سأل عفريتاً عن الكلام فقال ربح لا يبقى ! قال فما قيده ؟ قال الكتابة) (٢)

وجاء الشيء الكثير ، غير هذا ، عن فضل الكتابة ، في القرآن الكريم وفي أقوال الحكماء والأدباء (٣)

والكتابة الخطية التي نكتب عنها هنا غير الكتابة الانشائية والفرق أن الأولى هي النقوش المسماة بالخط والثانية هي إنشاء الكتب والرسائل (٤) ويقول القلقشندي في ذلك (فإذا أردت أيقافك أحداً على ما في ذهنك من المعاني تكلمت بألفاظ وضعت لها ، وإذا أردت تأدية ألفاظ لذلك الأيقاف إلى أحد بغير شفاه نقشت النقوش الموضوعات لتلك الألفاظ ، فيطالع تلك النقوش الموضوعات لتلك الألفاظ ومن الألفاظ تلك المعاني) وهو يقصد

(١) المحاسن والأضداد ص ٣ (٢) صبح الأعشى ج ٣ طبعة سنة ١٣٣٢ هـ

ص ٥ (٣) راجع أدب الكتاب لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ص ٢١ - ٢٨ و صبح

الأعشى ج ٣ ص ٥ و ٦ و ٧ ، و كتاب المحاسن والأضداد ص ٣ و ٤ و ٥

(٤) الوسيط ص ٣٤ و ٣٧ الطبعة السادسة

من النقوش التي وضعت للألفاظ والتي منها يطالع المعنى مانسميه الكتابة الخطية (١)

وقد اختلف الرواة اختلافا كبيرا في أول من وضع الخطوط . كما اختلفوا في أول ما وضع من تلك الخطوط . وليان النقطة الأولى ندل بالآراء التي قلت بصدها : —

(١) . يقول هاشم الكلبى وضعها قوم من العرب العاربة هم أبو جاد وهواز وكلمون . . الخ ولذلك وضعوها على أسمائهم وسموا ماخرج عنها الروادف (٢)
(٢) . وقال آخرون إن آدم عليه السلام هو الذى وضع الخطوط قبل موته بثلاثمائة سنة (٣) وفسر هذا القول صاحب صبح الأعشى بأن آدم عليه السلام كتب الكتب فى طين وطبخه فلما أظلم الأرض الغرق أصاب كل قوم كتابهم (صبح الأعشى ص ١٠ ج ٣)

(٣) . وقال ابن عباس أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال سكنوا الأنبار ينتسبون إلى قبيلة بولان وهم مرامر وأسلم وعامر إذ وضع الأول الصور والثاني وصل وفصل والثالث وضع الأعجام (٤)

(٤) . وقيل إن واضعها هو إدريس عليه السلام
(٥) . وقيل إن آدم لم يضعها وإنما أنزلت عليه (وهذا وجه) ولعل الذين قالوا به قد نقلوه عن أبي ذر الغفارى إذ قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كل نبي مرسل هم يرسل ؟ — قال بكتاب منزل — قلت يا رسول الله أى كتاب أنزل على آدم ؟ — قال اب ت ت ج إلى آخره (٥)
وقال بعضهم إنها أنزلت على هود عليه السلام ويقول صاحب صبح

(١) صبح الأعشى ص ٩ ج ٣ طبعة دار الكتب سنة ١٣٣٢ هجرية
(٢) البلاغ المصرى عدد ٥٥ فى ٢ سبتمبر سنة ١٩١٠ (٣) المرجع السابق (٤) البلاغ المصرى فى مقال (أديب) وأصل ذلك فى صبح الأعشى ص ١٢ (٥) راجع شرح صاحب الوسيط أذ بينا كيف ترجع لغات العالم إلى أمهات أصلية تولدت وتولد

الأعشى ص ١٢ إنه لاتباين بين القولين لجواز أن تنزل على آدم مرة وعلى هود أخرى واستدل على صحة ذلك بأن بعض الآيات كان ينزل على نبي ثم ينزل على نبي آخر وبعض الآيات كان ينزل مرتين على نبي واحد

(٦) . وقال ابن إسحق والذي يقارب الحق وتكاد النفوس تقبله هو أن العربية لغة حمير وطسم وجديس وأرم وجويل وهم العرب العاربة أحوال ولد إسماعيل عليه السلام وذلك أنه عليه السلام لمائشاً في الحرم وبلغ أشده تزوج منهم وتعلم كلامهم ولحق به أولاده فوضعوا الأسماء للمسميات بحسب حدوثها فاتسع الكلام وانفردت كل قبيلة بلغة مع الاشتراك في الأصل « (١)

وأدلى كثير غير هؤلاء بأرائهم وهي كثيرة لا حصر لها . وليس من الميسور الرجوع إلى أى رأى من تلك الآراء أوالتى أوردناها — لأعلى سبيل الحصر ليكون هوالمعتبر . ويكفى القول بأن الآراء تشعبت فى تلك المسألة تشعباً ماعهدناه فى أى مسألة أخرى خلافة

هذا هو الخلاف الذى دب فى أول من وضع الخطوط وقد قام خلاف آخر فى أول ماوضع منهاولكننا لانراه متشعباً تشعبه فى المسألة الأولى إذاستقر البحث إلى حصر الموضوع فى رأيين : —

أولهما : أدلى به الأفرنج وثانيهما : أدلى به رواية العرب وكلاهما متفق على أن أول حلقة من سلسلة الخط العربى هى الخط المصرى القديم وأن الخط الفينيقى مشتق منه وأن هذا مشتق منه الخطان المسند والآرامى .

عنها وأن كل واحدة من هذه الأمهات هى المنشأ الأول لفروعها وأنها تنشأ من جدة عليا مجهولة هى لغة الإنسان الأول وهى الكلمات القليلة التى كان يعبر بها الإنسان عن رغائبه القليلة وبعضها مقتبس من محاكاة الأصوات وبعضها مترجل بطبيعة القوة الناطقة التى أودعها الله الإنسان وميزه بها من سائر الحيوان ... إلى آخر البحث به هامش رقم ٤ ص ٣ و ٤ من كتاب الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه

(١) البلاغ المصرى عدد ٢٨ شعبان سنة ١٣٢٨ هجرية

أما نقطة الخلاف فهي أن الأفرنج يقرعون الخطوط بعد ذلك من الآرامى، ورواة العرب يقرعونها من المسند (١)

ولولا ضيق المقام لذكرت شيئا كثيرا عن الخلاف القائم حول تلك النقطة ونختم الكلمة بأن الخلاف الذى يقوم بين اللغات فى البداءة بالكتابة مرجعه اختلاف المقصد عند أهل كل لغة فالعرب كتبوا من اليمين إلى اليسار جريا على سير الفلك من المشرق إلى المغرب وكما قضت الطبيعة أن يزاول الإنسان عمله باليد اليمنى، وقيل جريا على حركة الكبد إلى القلب. والذين كتبوا من اليسار جروا على سير الكواكب السبعة السيارة من المغرب إلى المشرق، وقيل جريا على حركة القلب إلى الكبد (عكس الحالة الأولى). والذين بدأوا من أعلى إلى أسفل (كالصين) قصدوا أن الله فى السماء وأن كل شيء يأتى من جهته سبحانه وتعالى (٢) وإذا كانت الحروف العربية تسعة وعشرين حرفا فإن صورها - بصرف النظر عن النقط - ليست كذلك. بل هى تسع عشرة صورة فقط. وذلك لأن بعضها يشترك فى الصورة مع البعض فالباء مثلها التاء والثاء فى الصورة وكذا الجيم مثلها الحاء والخاء وهلم جرا

وذلك أولى من اعتبار كل حرف صورة. وهم يرجعون تلك الصور إلى خمس فقط وهى الألف والجيم والراء والنون والميم (٣) وأرجو أن أوفق فى بحث آخر إلى تناول أثر الإسلام فى ارتقاء الخط العربى وانتشاره سواء أكان ذلك فى شبه جزيرة العرب أم فى غيرها والله يهدينا إلى ما فيه الصواب

(١) راجع ذلك فى الوسيط طبعة سنة ١٩٢٧ ص ٣٤ و ٣٥ للاستاذين الفاضلين الشيخ أحمد الأسكندرى والشيخ مصطفى عنانى (٢) راجع انتشار الخط العربى للاستاذ الفاضل عبد الفتاح عبادة ص ٣٠ والمراجع التى أشار إليها فيه (الكتابة والكتب وصبح الأعشى ص ٢١ ج ٣) (٣) مرجعه صبح الأعشى ص ٢٤ - راجع بحثا شيقا للاستاذ نجيت صلبى فى مقتطف فبراير سنة ١٩٢١ عن الحروف من حيث الصوت والحركات... الخ الخ